من وحى المرأة

الورد الأحمر ...

للأستاذ عبد الرحمن صدقى

هو الورد ، لا يجلو النواظرَ كالورد
له حمرة القانى من الدم فى الخدِ
أطالع منه كلَّ حمراء غضة ترفّ بما ضمت من الماء والوقد
فتضحك لى الدنيا ويُسفر نورها
وينجاب عنها كل أدجن مُربدّ
ويسكر حتّى بالصبابة والصبا وأستاف حولى مثل رائحة الخلد
كذلك كان الورد ، والورد لم يزل
على عهده ، ما حالَ وردٌ عن العهد
فيا تعسَ نفسى اليوم ما بالها انطوت
على سلوةٍ عنه وباتت على زهد
تُجانبه عينى ، فما امتدّ لحظها إلى باقةٍ إلا أشاحته عن قصد
أوسّع من حملاقها وهو مُغرَق
أُغيّض فيه الدمعَ منفرط العقد[1]
وأنجو كأن الورد ألسنة اللظى وفى مثل مس النار من شدة الوجد
هو الورد ، إلا أنه اليومَ باقتى إلى حبيَ الغالى المغيَّب فى اللحد
إلى زوجتى بالحس والروح والحجى
وصنوىَ من دون النساء ومُعتدّى
أحجّ إليها أحمل الورد زاهياً
كما كنت أغشى دارها خاطبَ الود
وسيان فى الحالين وردٌ وباقة
ولكنّ هول الخطب فى الخاطب المُهدى
فيا بُعدَ بين الخاطبين : مؤمّلٌ
سعيد ، ومشئوم الهوى عاثر الجد
وإنى لأسعى كل حين لقبرها
على قدمى رسْف المكبّل فى القيد
أشُقّ على نفسى كما هان حسنها وبات رهين الترب والحجر الصلد
وأكرمها أن أطرق القبر راكباً
وإن كنتُ مهدود القوى قاصر الجهد
وآبَى على الأهلين حمل تحيتى
فأحمل طول الدرب باقتها وحدى
إذا استشرفتْ عينى المقابرَ ثار بى
حنين، فَحَثْحَثْتُ الخطى طائرَ الوخد[1]
وأجهش كالمشتاق حانَ لقاؤه
لمن ذاق فى أحضانها كجنى الشهد
وأفضى إلى الثرى أضمّ رخامه وأوسمه لثماً كمستقدح الزند
فيلقى رخامُ القبر ضمّىَ جافياً
صليباً ، ويجزى حرَّ لثّىَ بالبَرْد
وأنظر للورد الجنىّ تنرتُه
هنا كدم القربان فى المعبد العِدّ[2]
فأرجو لو أن الرمز كان حقيقة وأنى قربان الحبيبة لو يجدى
وألمس معنى الورد يُهدَى احمراره
لمعروقة الأجلاد[3] شاحبة الجلد
فأبكى لها منزوفةً جفّ عودها
وما كان أجرَى[4] الماء فى عودها الملد

(١) حملاق العين باطن أجفانها .

(١) الوخد : السرعة . (٢) العد القديم
(٣) أجلاد الانسان وتجاليده : جسمه وأعضاؤه .
(٤) أجرى أفعل التفضيل من جار .

سبيله وأكرمه وقرّب مجلسه ، فقال له يوماً : أنشدنى قصيدة زهير التى أولها «لمن الديار بقُنّة الحَجْر» وهى التى على الراء :

لمن الديار بقنة الحجر أقوَيْنَ مذْ حِجَجٍ ومذْ دهرِ

فأنشده ، فقال المهدى : ذهب والله من يقول مثل هذا ! قال السمرى : وذهب والله من يقال فيه مثل هذا ! فغضب المهدى واستجهله ونحّاه ولم يعاقبه ، واستحمقه الناس » . فأنت ترى من هذه الرواية أن المهدى يعلم مطلع القصيدة ؛ وهو ما تقول القصة إن حماداً صنعه فى حضرة المهدى ، وإنه أقر بصنعه إياه بعد استحلافه .

السيد يعقوب بكر